بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل

ماذا أقول ؟

لا اعرف ما هو المنتظر منى فى هذا المكان ... هذا الاسبوع ؟

اذا كان منتظرا منى ان اكتب قصة ما حدث خلاله ، وكيف حدث ، ولماذا حدث ، فأظننى سوف اكون خيبة امل لتوقعات كثيرين !

لقد عشت ما حدث كله ، من اول لحظة فيه ، حتى هذه اللحظة ، وما زلت عاجزا عن تصور بعض ما رايت وسمعت بعينى واذنى . ولو ان الروايات عنه جاءتنى نقلا وعنعنة ، لرفضت ان اصدق ، ولما استطاع احد فى الدنيا اقناعى به .

والغريب اننى كنت آخر واحد يحق له ان يفاجأ ، ذلك اننى تعرضت ، منذ ٢٨ سبتمبر الماضى ، وحتى ١٥ مايو الأخير ، الى تجربة عنيفة ، أرد نفسى عن الكلام فى تفاصيلها الآن .

كانت المحاولة معى ، تستهدف الى خنق صوتى ، والى تشويه ما اقول ، والى حصارى ، ثم اسرى بعد ذلك ، أو ما هو اشد من الأسر .

كانت الظروف قد اتاحت لى ان اعرف قسطا اكبر من الحقيقة .

وكانت الحقيقة هى المستهدفة ... والحق بعدها .

ولقد حاولت كل جهدى ان اقف ، وان لا التفت ورائى ، رغم اننى كنت أعرف ــ وذلك اكدته الأدلة فيما بعد ــ أن كل شىء من حولى كان مراقبا ... تليفونى ، وبيتى ، ومكتبى ومقابلاتى ، وتحركاتى .

والغريب اننى كنت احاول ، مع ذلك كله ، أن أقوم بدورى فى المسئولية الوطنية ، فى ظرف يجعل من كل **وطنى ... مسئولا** مهما قلت حيلته وزاد عذابه .

كنت احاول قدر ما استطيع ، أن لا تحدث فرقعة لا يفيد منها

الوطن ، وانما يفيد منها أعداؤه ، وكنت على اتصال بجميع أطراف الأزمة ، التى كانت تغلى وتهدر فى أعماق مصر ايامها ، أجرب مع غيرى — قدر ما نستطيع — لعلنا ان نجد للبخار المحبوس منفذا الى الهواء ، وان نجد للحمم الملتهب طريقا الى البحر ، **لكن كل ما حاولناه وجربناه راح عبثا، وضاع هباء ، لان النية كانت مبيتة ، ولأن التدبير كان مصمما على الانقضاض .**

كان المطلب هو السلطة ... كل السلطة .

ولا بأس بالسلطة اذا كانت مشروعة .

ومشروعية السلطة شيئان :

ان تكون بالقانون .

ثم ان تكون اداة لاحداث تغيير ، يدفع خطوة الى الامام ، سياسية او اجتماعية .

ان طلب السلطة بغير القانون ... ارهاب .

ثم ان السلطة ، حين لا تصبح اداة لاحداث التغيير ... كارثة ، ذلك انه حين تصبح السلطة هدفا فى حد ذاتها ، فان الأمر يتحول الى سيطرة ، تصل باصحابها الى طريق مسدود .

ان السلطة طاقة ، فاذا لم تستعمل الطاقة فى هدف نافع ، فان تراكم المخزون منها ينتهى بتفجير نفسه ، وهو قادر بذلك على تدمير غيره .

تماما كطاقة الكهرباء ، حين تتحمل شبكة منها بما هو اكثر من طاقة احتمالها ، ولا يكون هناك تصريف مستمر لها يحرك مراكز الانتاج ويضيء مواقع الحياة .

ولقد عشت لحظة التفجير

... ومن حسن الحظ أن التدمير لم يقع ، وتلك **شهادة تاريخية لأنور السادات** ، وشجاعته الادبية والمادية ، فى لحظات بالغة الصعوبة والخطر ، كما أنها **شهادة حضارية لشعب مصر** الذى استوعب كل ما جرى وسار عليه ، وانتصر بغير طلقة رصاص واحدة ، وبغير نقطة دم واحدة . وفى غير مصر ، فان ما حدث ، كان يمكن له أن يتحول الى حريق ، والى حمام دم !

□

ولقد كنت أول من دعاه الرئيس انور السادات الى بيته صباح يوم الأربعاء ١٢ مايو .

ولم يستدعنى الرئيس بالتليفون ، كما تعود أن يفعل ، ولكنه بعث الى بكريمته تدق باب بيتى فى الصباح الباكر ، وتقول ان والدها يريدنى للقائه فورا .

لم يكن رئيس الجمهورية واثقا أنه يستطيع الحديث بأمان فى التليفون مع صديق يدعوه الى بيته .

وأحسست بأن شيئا وقع ... أو هو على وشك أن يقع ،

خصوصا وقد كنت على وعى بأن العاصفة تتجمع ، وانها على وشك الهبوب كرياح الخماسين المقبضة والخانقة والمظلمة .

وذهبت الى بيت انور السادات فى تلك الساعة من الصباح الباكر ، واذا بى اسمع القصة المذهله لزائره المجهول فى الليل، حامل الاشرطة ، من غرفة التسجيلات فى وزارة الداخلية .

واستمعت ، واستمعت ، واستمعت ، حتى أصبت بالغثيان !

كان يجب ان لا افاجأ ... ومع ذلك فوجئت .

ليس الى هذا الحد ... وليس الى هذه الدرجة ... وليس بهذا الثمن !

تلك كلها فى الأعماق كانت صرخات اسى ، لكنها الآن بلا فائدة ، لا تدفع شرا ، ولا تقى من خطر .

ولم يهتز انور السادات كقائد ، ولكنه كان متأثرا كانسان ، وكان قوله فى تلك اللحظات ، وهو بعد على مقعده الذى استمع فيه الى القصة المذهلة ، التى تتحدث بها الشرائط المسجلة ، التى جاءته بالصدفة المحضة ، وبوازع الضمير وحده ، فى قلب انسان وطنى ، أحس فى موقعه انه مسئول .

كان فى مقعده لم يبرحه منذ ساعات ... مضى الليل ، وطلع الفجر ، وظهر الصبح ، وهو جالس يتأمل ويفكر .

وكان قوله وانا جالس امامه :

ـ « انك تعرف كل ما فعلت معهم .

لقد اعطيتهم ثقتى ، ولم اسمع فيهم احدا ، وتركت لهم الفرصة كاملة ، وكنت احاول تقديمهم للصدارة ، فى اطار الشرعية ، لكى يكبروا بطريقة طبيعية .

لقد جاء البعض ولامنى ، لأنى تركت فى يدهم كل مفاتيح القوة :

وزارة الحربية ، وزارة الداخلية ، وزارة شئون رياسة الجمهورية ، وزارة الاعلام ، المخابرات العامة ، التنظيم السياسى .

كل شىء كان فى يدهم .

لقد قلت للذين لامونى : اننى لا ابدا بتخوين احد ... وانا اعطى ثقتى كاملة ، او اسحبها كاملة .

كانوا فى خدمة جمال عبد الناصر ، وكان ذلك يكفينى ، رغم علمى برأيه فى بعض تصرفاتهم ، لكنه كان دائما يضعهم فى حجم معين لا يتجاوزونه .

كانوا فى خدمة جمال عبد الناصر ، واردتهم للاستمرار على طريقه .

وكانوا فى حياته مجرد أدوات وان كانوا فى فترة انشـــغاله بالمعركة ، وفى ظروف مرضه ، قد تجاوزوا دور مجرد الأدوات .

قلت ليكن ... ســوف أفتح صفحة جديدة ، وسوف أعطيهم الثقة والفرصة ، لكى يتقدموا ، ويثبتوا أنفسهم أمام الناس » .

واستطرد الرئيس السادات ، وانا جـالس أمامه صـــامت بالكلمات ، ممزق بالانفعالات :

ـ « أنت كنت تتابع ما يجرى .

وأنت حضرت موضوع الاتحاد بين مصر وليبيـا وســوريا منذ بدايته مع جمـال عبد الناصر ، ولقـد جئت بوثـائقك معك فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا ، وحاولت أن تشرح أمامهم وقائع التاريخ ، ولكنهم لم يسمعوك .

ان الموضوع لم يكن موضوع الاتحاد .

ان الاتحاد كان مجرد فرصة أرادوا انتهازها لصراع السلطة ولفرض الوصـاية ، وللاستبداد بمصير الوطن .

جـاءوا الى اللجنة المركزية بربطـة الرفض أولا ... ثـم جـاءوا بعد ذلك بربطة القبول بغير مناقشـة ، وكان الهـدف مجرد استعراض قوة .

لماذا ؟ ... ومن أجل ماذا ؟

قلت لهم اننى ســاذهب الى الشعب مباشرة واحتكم اليه .

وهـذه الأشرطة امامنا ، تروى كيف حوصرت الاذاعـة ، وكيف رتبت أمورهـا من الخـارج والداخل ، لمنعى من الوصـول الى حيث استطيع ان أتحدث الى الشعب » .

واستطرد الرئيس السادات :

ـ « تذكر انك جئتنى مرة وانا فى القناطر ، وسألتنى متحيرا : على اى شىء أقيم حساباتى فى الموقف المبـدئى الذى قـررته لنفسى ؟

قلت لى يومها : ان بينهم وزير الحربية ، وبينهم وزير الداخلية ، وبينهم وزير شـئون رياسـة الجمهـورية ، وبينهـم وزيـر الارشاد ، وبينهم مدير المخابرات العامة ، وبينهم القـائمون على شئون التنظيم .

يومها سألتنى :

ـ « من معـك انت ، وعلى اى اساس تجرى حساباتك فيما يدفعون اليه من مواجهة » .

يومها قلت لك :

ـ « معى اللـه ، ومعى الشعب » .

اننى احسـست يومهـا انك نظرت الى بدهشـة ، مع انك حاولت أن تخفيهـا ، ولعلك لولا الحيـاء ، كنت على وشـك أن تسألنى :

ـ « اليس هناك شىء آخر ؟ »

اننى احسست بدهشـتك ، ولعلك تذكر اننى قلت لك :

ـــ « ليس معى شىء آخر ... وما معى يكفى ، وان كنت ادعو من قلبى أن تعود العقول الى الرؤوس » .

واستطرد الرئيس انور السادات :

« هل تذكر مرة اخرى تحدثت اليك بالتليفون فى بيتك ، وأنا أعلم أن تليفونك وتليفونى تحت الرقابة ، وقلت لك وقصدت أن يسمعوا وأن يعرفوا وأن يتدبروا :

ـــ ان آخر وصية تركها لى جمال عبد الناصر هى قوله مرة قبل رحيله بأسابيع قليلة وكان قوله مفاجأة لم أتوقعها :

« انور ... كل ماأخشاه أن يجىء بعدى من يذل هذا الشعب، ان هناك تركيزا فى السلطة فرضته ظروف الحرب وظروف التطور. وكان أملى بعد بيان ٣٠ مارس ان تتغير الاوضاع ولكن الاحوال يومها لم تهيىء لى ماكنت اتمنى ... كنا خارجين من أزمة سلطة فى أعقاب حرب سنة ١٩٦٧ وما كشفت بعدها من مخبآت ولم يكن فى وسعى ان امشى الشوط كله والا لاحدثت فى البلد هزة كبيرة فى ايام عصيبة وعلى اى حال فاننى قلت لنفسى بعد الحرب لابد من ثورة ثقافية عميقة فى مصر

وقد لا اعيش حتى أرى هذا اليوم ولكن وصيتى لك أن لا تجعل أحدا يذل هذا البلد »

يومها قلت لجمال عبد الناصر:

ـ كيف تقول لى هـذا الكلام ... انك سوف تعيش باذن الله بعدى وسوف تضعنى بيدك فى قبرى وترعى أولادى بعدى وأنا لهذا مطمئن مستريح ... ثم أنك سوف تفعـل كل ما تشـعر انه واجب عليك ان تفعله »

والغريب بعد ذلك ان جمال عبد الناصر لم يسكت وانما عاد يقول :

ـ لا اريد لاحد ان يذل هـذا البـلد من بعـدى ... هـذا ما يؤرقنى » .

واستطرد أنور السادات وهو يتنهد من اعماق الاعماق :

« قلت لك فى التليفون يومها بعد أن رويت لك حديث عبد الناصر أو وصيته

انهم ـ برغم كل مـا اعطيت وتركت لهم ـ يريدون ان يكونوا ولاة يتصرفون فى كل الاقـدار وهذا ما لن اسمح به

وهم يجيئون الى بما يريدون محاولة فرضـه ، ويلوحون من طـرف خفى بوزير الحربيـة وبالتنظيم السياسى

انهم يعرضون ما يطلبون ثم يضيفون اليه :

ـ وهـذه تقـارير التنـظيم السياسى تؤيده . وهذه تقـارير المباحث والمخابرات

وعندما أقول لهم :

ـــ اننى أعرف هذه الطريقة ولن اقبل الرضوخ لها ! »

... كانوا يضيفون :

ـــ اسأل وزير الحربية ! »

وأقول لهم :

ـــ وما شأن وزير الحربية فى هذا الذى نتكلم فيه »

ويقولون :

ـــ يستحسن ايضـــا ان تأخذ رأيه »

وقلت لهم :

ـــ اسمعوا ان فى يدى شيئا واحدا ولن أتردد فى استعماله ... ان لدى الشجاعة أن أقف أمام الملأ وأقول بأعلى صوت اننى لا أريد أن أكون رئيسا لهذا البلد وفق شروط يمليها من يدعون انهم ولاة الامر على

اننى اعمل بضميرى ولن اعمل باملاء أحد على

وأقوى ســـلاح املكه فى يدى اننى لا أتمسك بأن اظل رئيسا

اننى لم اسع لهذا المنصب ولا حلمت بـــه ولا اردته واذا كانت الاقدار قد وضعتنى على هـــذا المقعد فاننى أملك فى اى وقت ان اقوم منه واصارح الناس بـــكل ما أشـــعر بـــه ... واترك لهم الخيـــار ان يتصرفوا وفـــق ما يريدون » .

وكان انور السادات ما زال يتحدث حينما جاءه من يقول له ان وزير الحربية جاء لكى يرافقه الى زيارة للقوات المسلحة ، ووقفت معه وهو يرتدى ملابسه استعدادا لرحلة بالهليكوبتر الى الجبهة

وذهب الى هناك وسمعت قبل ان يعود الى القاهرة انه تحدث امام قيادات الجيش عن اصراره على تصفية كل مراكز القوة وان رد الفعل لدى كل الذين سمعوه كان حماسيا ومؤيدا

وعاد انور السادات من المواقع الامامية

ولقيته بعد عودته ثم ظللت على اتصال به حتى رايته خلال الساعة الحاسمة فى تاريخ مصر الحديث، ما بين الحادية عشرة من مساء يوم الخميس الى الساعة الثانية عشرة ، وبعدها الى الصباح

كانت الاستقالات الجماعية قد اعلنت فى الاذاعة قبل ان تصل اليه بهدف احداث انهيار دستورى

وكانت الاوامر قد صدرت الى بعض عناصر التنظيم السرى ان تخرج الى الشارع

وكان تصور وزير الحربية السابق انه فى هذه الحالة يستطيع ان يتذرع بانفجار فى فى الجبهة الداخلية .

كان أنور السادات فى هـذه الساعة الحاسـمة من التاريخ هائلا باكثر ممايستطيع أن يتصور أو يصف أحد

كانت قـراراته لمواجهـة التطـورات المفاجئة ... مزيجا مدهشا من الهدوء والحسم

ولم يكن فى تلك اللحظـات يعرف بتفاصيل المشهد التاريخى العظيم فى مكتب وزير الحربيـة السابق ، الذى كان قد خرج قبل اذاعة الاستقالات من بيت وزير الداخلية السابق ـ الذى التقى فيـه كل الذين رتبوا للانهيـار الدستورى المتصور وكل الذين أمروا بخـروج التنـظيم السرى الموهوم الى الشارع ـ ثم توجه الى مكتبـه فى وزارة الحربيـة يحاول أن يقول :

ـ ان الـرئيس أقـال وزير الداخليةوانه يريد اجراءانتخابات جديدة للاتحاد الاشتراكى وانني قررتالاستقالةتضامنا مع كثيرين وان هذا أمر لا يمكن السـكوت عليه ، لان الفوضى ستحل ! » .

ان كل الذين سمعوه ، وبغير استثناء ، احسـوا أن المسـألة لا تخصهم وقيل له صراحة :

ـ ان ذلك كلـه فى صـميم اختصاص السلطة السـياسية ولقد علمنا جمال عبدالناصرونحن نؤمن بما علمنا اننا يجب أن نظل بعيدا ... اننا نلتفت الى صراع واحد هو صراعنا مع اسرائيل ،

واما اى صراع آخر فهو مسألة تختلف »

وسمع الفريق صادق بما يجرى فأسرع الى مكتب وزير الحربية وقال له :

ـ سيادة الفـريق ... انك قدمت استقالتك وهـذا حقك ، لكنه بعدها لا يجوز لك ان تبقى هنا فى هذا المكتب، كما انه لايحق لك ان تقول ما تحاول ان تقوله الان

سيادة الفريق، ان هناك وطنا، وهذا الوطن له مصـلحة عليـا اقسمنا على الولاء لها وما تحاوله الان يتناقض مع كل ما بناه جمال عبد الناصر »

كانت لحظة حاسمة فى تاريخ مصر ...

وكانت لحظة رائعة ونبيلة

وكانت الحـوادث تجـرى والتطورات تتدافع وكنت طـوال الوقت فى عين العاصـفة كما يقولون

ولست أعرف ماذا أروى اليوم وماذا أدع ، وان كنت مؤمنا على أى حـال ان الـوقت ليس وقت الروايات والحـكايات ... تلك كلها لها مواقيتها ولها ترتيبها فى سياق القصة الكاملة لما حدث.. لكننى فى هذا الحديث أوثر أن أتطلع الى الامام ولا التفت الى الوراء

ويخطر ببالى اننى اريد أن أترك كل الروايات والحكايات مما مضى، الى ما هو أهم منها وما هو أبقى لانه يخص المستقبل ويؤثر عليه

تلح على الان مجموعة من الخواطر المتدافعة وسط الحوادث المتدفقة كأنها سيل سقطت من أمامه كل الحواجز والسدود

مجموعة من الخواطر تلمع وسط السيل الرمادى المتدفق .

أريد ان أقول مايلى :

□

● **أولا : أريد أن أقول :**

الحمد لله أن ذلك حدث قبل القرار ببدء المعركة .

ان الذين رتبوا مارتبوا وبيتوا ما بيتوا ، كانوا فى قلب المجلس الذى كان فى يده قرار السلام والحرب .

ولقد فعلوا مافعلوا وفق مخطط تصوروه والدليل الظاهر عليه — بصرف النظر عن الادلة المتكشفة الان — هو اعلان الاستقالات من الاذاعة قبل وصولها لرئيس الجمهورية .

من المؤكد أن ذلك التصرف تخطيط مقصود .

بداية أريد لها أن تحدث أثرا سواء كان هذا الاثر عفويا **برد الفعل** ، او مدبرا **بالفعل .**

معنى ذلك انهم قدروا شيئا او خططوا شيئا .

ولكن الحوادث بعد ذلك أثبتت انه كان كله على خطأ .

التقدير ... والتخطيط كلاهما! فما هو معنى ذلك ؟

معناه أن هؤلاء جميعا لم يكونوا على مستوى يسمح لهم أن يقدروا بحساب وأن يخططوا بكفاءة في أمر يتعلق بهم وبأنفسهم وبمستقبلهم .. فكيف كان يمكن أن يقدروا أو يخططوا لغيرهم ؟

اننى هنا لا أريد أن أتهم

لا أدين أحدا ولا أبرىء أحدا فتلك سلطة آخرين

ولكنى أركز على نقطة واحدة هى مقدرة هؤلاء الذين تصرفوا ـ على التقدير السليم والتخطيط السليم .

وكانوا فى موقع القرار على أعلى المستويات يقررون السلم أو الحرب ، مصير ومستقبل شعب وأمة بأسرها ...

العقل يعجز أحيانا عن التصور !

فيما ظهر من أدلة مسجلة ـ لان بعضهم كان قد نسى فى زحمة الحوادث انه يسجل لغيره حركاته وسكناته ـ **يظهر بوضوح ما يلى :**

١ ـ انهم قدروا وخططوا أن الاستقالات سوف تكون صاعقة تشل حركة أنور السادات وتعجزه عن التفكير وعن الحركة ومن ثم فانه سيرضخ .

لم يحدث .. وحدث العكس] !

٢ ــ انهم قــدروا وخططوا خروج ألوف من التنظيم السرى يقــودون مئــات الالــوف من الجماهير تطالب بعودتهم .

[لم يحدث..وحدث العكس !]

٣ ــ انهم قــدروا وخططوا تحركات بعد ذلك تجرى تحت حجة مواجهة خطر التداعى فى الجبهة الداخلية .

[لم يحدث .. وحدث العكس !]

كيف اذن ؟

كيف كان المصير معلقا على هــذا النحو فى قبضــة مليئة بالعنف ورأس ملىء بالظـــلام ... قوة مطلقة وجهل مطبق !

□

● ثانيا : أريد أن اقول :

اننا لا يجب ان ننشغل كثيرا بما جرى واهم منــه الان أن نلتفت الى المعركة فهى الاصل والاساس وهى الهدف والامل..

بعض أرضنا محتل

والعدو ــ كما قلت وأقول ــ لن يتراجع عن هــذه الارض الا اذا ارغمناه على ذلك

ونحن نتحــدث مع العــالم الخــارجى كله **بغير حرج ...** ولكننا نتمسك بحقنا كاملا فى **غير مساومة**

وليس هنــاك من يســتطيع ارغام العدو على التراجع الا قدرتنا وحدها .

والولايات المتحدة الامريكية وهى القوة الدولية الوحيدة التى تمتلك نظريا اسبابا للضغط على اسرائيل ، **لاتريد ولاتستطيع**

وحتى على فرض انها تريد فانها تريد حلا امريكيا للازمة وهذا مرفوض

وبصرف النظر عن ما تريد أو لاتريد فهى فى الظروف الراهنه لا تستطيع أن تفرض على اسرائيل فك قبضتها عن الارض المحتلة .

وعلينا نحن ان نفك هذه القبضة وان نقطع اليد كلها اذا استطعنا .

والراى العام العالمى كله معنا .

لكن التاريخ والامر الواقع يعلمنا ان لا حق بغير القوة .

وعلينا — كما قلت — ان نهيىء المسرح تهيئة سياسية كاملة لنضالنا على ارض المعركة ... معركة قلت واقول انه لابديل لها ولا مناص منها مع اسرائيل .

□

● **ثالثا : أريد أن أقول :**

ان الاتحاد السوفيتى كان ولايزال وسوفيظل اكبر العوامل الايجابية فى الموقف .

ان الاتحاد السوفيتى هو الذى أعطى التوازن لقوتنا السياسية

كما أن الاتحاد السوفيتى هو المصـــدر والدعم الوحيد لقوتنا العسكرية .

وأقول بأمـــانة وصراحة انه لولا الأتحاد السوفيتى لما كان أمامنا خيار غير القبول بشروط المنتصرين كما حدث سنة ١٩٤٨

وقيمـــة الصـــداقة العربية السوفيتية انها ليست صـــداقة ظروف ، أى أنها ليست صداقة تاكتيكية ، وانما هى ــ كما كان يقول جمـــال عبـــد الناصر ــ صـــداقة نضـــال ضمن الجبهة العالمية المعادية للاستعمار ... نضال من أجل الحرية والتقـــدم

اكثر من ذلك فيجب ان نفهم شيئا أساسيا هو أنه اذا كانت الولايات المتحدة قد سعت الينا تطلب منا ان نجربهـــا ولو مرة اخيرة ، فان السبب الحقيقى وراء ذلك هو تصاعدالمساعدات السوفيتية ولولا ذلك ماتحركت الولاياتالمتحدة ولتركتلاسرائيل كل الوقت حتى تستوى الثمار على الشـــجر وتســـقط على الارض .

وانصافا للاتحـــاد السوفيتى فان تعامله مع جمال عبد الناصر ومع أنور السادات بعده كان بأسلوب الشرفاء .

ومن التجنى أن يقال ــ كما تقول الان صحف الغرب ــ انه كان للاتحاد السوفيتى فى مصر حفنة من الاصدقاء .

ومن الحق أن يقال انه لا يمكن ان يكون هناك مصرى يحترم مصريته أو عربى يحترم عروبته الا ووجد نفسه صديقا للاتحاد السوفيتى .

□

● رابعا : أريد أن اقول :

ان خطنا الفكرى والاجتماعى يجب أن يكون فى منتهى الوضوح والحسم .

لقد كان هناك عدوان على الحرية السياسية للمواطنين .

ولكن تصحيح العدوان على الحرية السياسية للمواطنين يجب أن يكون فى اطار الحرية الاجتماعية لهؤلاء المواطنين .

ومن الطبيعى ان يحاول بعض خصوم الاشتراكية ان يتسللوا للنيل منها تحت رداء الحرية وهذا خطر لابد أن نتنبه اليه .

ولعلى اتفق اكثر مع انور السادات فى تركيزه على جماهير ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ .

كانت هذه منذ البداية جماهير ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وكانت هذه منذ البداية جماهير انتصار السويس سنة ١٩٥٦ .

وكانت هذه جماهير تحقيق الوحدة الاولى سنة ١٩٥٨ .

وكانت هذه جماهير يوليو ١٩٦١ وقراراته الاشتراكية المجيدة .

كانت هـذه جماهير تحـالف الشعب العامل صاحبة التجربة المصرية كلها .

كانت هذه جماهير الميثاق ، قـوى الحـرية والاشـتراكية والوحدة .

كانت هـذه جمـاهير رفض الهزيمة .

وكانت هذه هى جماهير ارادة التصحيح فى المجتمع المصرى

وكانت هذه جماهير بيان ٣٠ مارس .

وخروج هذه القوى يوم ١٥ مايو الاخير هو حركة تصحيح .

اننا لسنا امام بداية جديدة

وانمـا نحن على طـريق الاستمرار ـ والا وجدنا انفسنا نقع فى شرك ينصبه أعداء الثورة السياسية والثورة الاجتماعية .

ان الاستمرار القادر هو ذلك الذى يستطيع دواما تصـحيح المسار وتجـاوز اى انحرافات عليه وتقويم كل اعوجاج .

□

● خامسا : أريد أن أقول :

اننا يجب ونحن بصدد نظرة فاحصـة دارسـة على حياتنا السياسية ان نضع من الموازين والضوابط ما يحول مستقبلا دون ظهور مراكز جديدة للقوة

ان مراكز القـوة قبل سـنة ١٩٦٧ قادت هذا الوطن الى ٥ يونيو من ذلك العام الكئيب .

ومراكز القـوة التى ضربت بيان ٣٠ مارس كانت على وشك أن تقود هـذا الوطن الى كارثة مشابهة أخرى .

وفى ظنى ان سبيلنا الوحيد الى ما نريد هو مجتمع مفتوح

مجتمع لا يتعامل مع قـوى خفية ... فلقد ثبت بأكثر من تجربة ان القـوى الخفيـة هى صـانعة الخوف ، والخوف هو صـانع الطغاة ، والطغاة مهما كانوا صناع هزائم لان الهزيمة تبدأ فى المشاعر قبل ان تعكس نفسها على التصرفات .

□

● سادسا : اريـد ان اقول اخيرا :

ان ما حـدث فى الاسـبوع الماضى ليس أول قصة من نوعها فى تاريخ مصر

للقصة سوابق فى تاريخ مصر حتى منذ قرون ، ولقد قلت ذلك لانور السادات

قلت له :

ـ لقد رحل فجاة امير عظيم اعطى وطنه أملا وكرامة ، وبعد رحيله فان بعض حجاب القصر الذين كانت فى يدهم مفـاتيح الابواب تصوروا لبعض الوقت انهم ورثته وتصرفوا على هذا الاساس » .

ولعلى اقدم الاعتذار قبل ان اقول اننى رأيت هذا الخطر مبكرا ونبهت اليه كتابة

لقد كتبت مقالا فى هذا المكان يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٠ تحت عنوان « جمال عبد الناصر ليس اسطورة » وكان ذلك فى مناسبة يوم الاربعين على وفاته

وكان بين ما قلته فى هذا المقال بالحرف ما يلى :

« ان جمال عبد الناصر ليس له خلفاء ولا صحابة ، يتقدمون باسمه أو يفسرون نيابة عنه .

لقد كان له زملاء واصدقاء، وقيمة ما تعلموه عنه ، مرهونة بما يظهر من تصرفاتهم ، على ان تكون محسوبة عليهم ، دون ان يرتد حسابها عليه .

ان خلفاء جمال عبد الناصر وصحابته الحقيقيين هم كل الشعب ، وليسوا بعض الافراد ، وهم كل قوى التطور والتقدم ، وليسوا بعض المجموعات ، وهم كل المستعدين لان يعطوا باسم عبد الناصر ، وليسوا كل الذين يمكن ان يأخذوا باسمه .

واكاد أقول ان تأثير جمال عبد الناصر فيمن لا يعرفهم شخصيا ، اعمق منه فيمن عرفهم شخصيا ، ذلك لان الذين لم يعرفهم كان استيعابهم لفكره خالصا ، واما الذين عرفهم ، فان استيعابهم لفكره ربما كان مشوبا — فى بعض الاوقات وفى بعض الظروف —

بمطامحهم الذاتية ، وهـذا مفهوم ، لان الطبيعة البشرية لها احوالها ونزعاتها .

ولقد يستطيع زملاء واصدقاء جمال عبد الناصر ان يرووا عنه ، ولكن ذلك كله يدخل من باب التاريخ ، دون ان يكون جوازا الى باب المستقبل .

واريد ان اكون واضحا . اننى مع الذين يؤمنون بأن علم التاريخ هو علم فهم المستقبل ، باعتبار ان التاريخ هو وعاء التجربة الانسانية .

ولكن هناك فارقا كبيرا بين حالتين :

- حالة التاريخ كعلم لفهم المستقبل .
- وحالة التاريخ كفن للتحكم في المستقبل !

الحالة الاولى مقبولة ، بل ومطلوبة ، على ان لا تكون امتيازا لاحد ، وانما يشارك فيها كل الذين راوا منه وسمعوا عنه ، حتى ولو كان لقاؤهم معه دقائق وثوانى .

والحالة الثانية غير مقبولة ، بل وهى مرفوضة لانها تحمل شبهة تحويل ذكرى جمال عبد الناصر الى كهنوت ، والكهنوت له كهنة ، والكهنة لهم حجاب ، والحجاب لهم حراس ، والحراس وراء اسوار ، والشعب خارج الاسوار ينتظر الوحى ...

وهذا كله أبعد الاشياء عن جمال عبد الناصر وشخصيته وطبيعته ثم هو اكثر ما يكون تصادما مع معتقداته الاساسية » .

ولقد جر على هذا المقال — فى وقته — متاعب لا عد لها ولا حصر

لكنى رأيت الخطر بحكم قربى من الحوادث ورأيت واجبا أن انبه اليه مهما كان او يكن .

. . . . .

. . . . .

ماذا اقول ؟

هذا بعض ما اردت قوله بسرعة

ولعلى لا اكون اخطأت كثيرا ... او تجاوزت الى بعيد ...

محمد حسنين هيكل